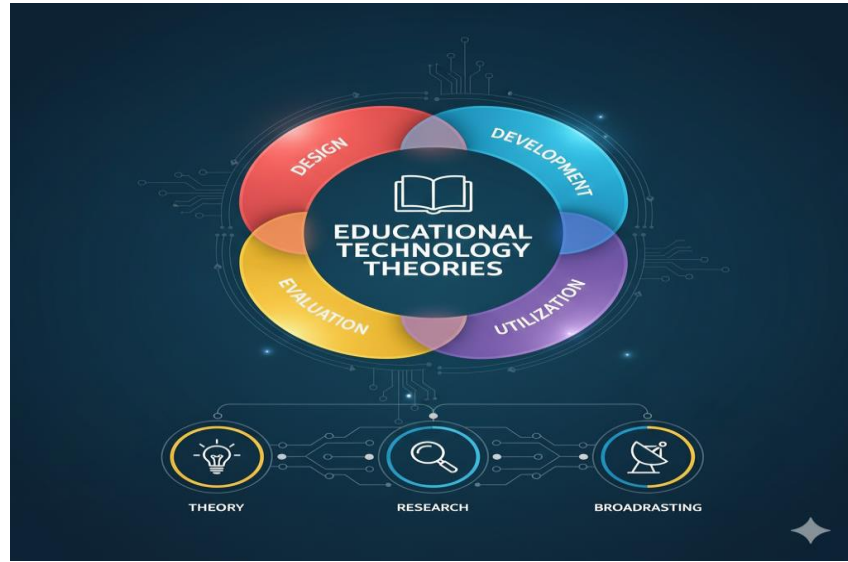


المحاضرة الثالثة: المقاربات النظرية في استعمال الوسائل التعليمية



الأهداف التعليمية للمحاضرة

بنهاية المحاضرة يكون الطالب قادراً على أن:

1. يميز بين أهم المقاربات النظرية المفسرة لاستعمال الوسائل التعليمية.
2. يربط بين كل مقاربة وطبيعة الوسائل المناسبة لها.
3. يدرك كيف أثرت النظريات التربوية والنفسية في تطور تكنولوجيا التعليم.

تمهيد:

منذ نشأة تكنولوجيا التربية سعى المربّون إلى فهم كيف يتعلّم الإنسان، وما العوامل التي تؤثر في تعلمه، وكيف يمكن توظيف الوسائل التعليمية لتسهيل هذه العملية. ومع تطور الفكر التربوي عبر العقود، ظهرت عدة نظريات فسّرت التعلم من زوايا مختلفة: فالبعض ركّز على السلوك الخارجي القابل للملاحظة، وآخرون على العمليات العقلية الداخلية، بينما رأى آخرون أن المعرفة تُبنى من خلال التفاعل والخبرة.

تُعد هذه النظريات بمثابة الأساس الفلسفي والتطبيقي الذي يُوجّه استعمال الوسائل التعليمية في الميدان التربوي، فهي التي تحدد لنا: كيف نصمّم الوسيلة؟ كيف نستخدمها داخل الصف؟ وكيف نقيس أثرها في سلوك أو معرفة المتعلم؟

أولاً/ المقاربة الطبيعية واستعمال الوسائل التعليمية

مثل الفكر التربوي الطبيعي بريادة جون جاك روسو ثورة ضد التربية التقليدية التي كانت قائمة على التلقين والطاعة الصارمة.

ينطلق روسو من مبدأ أن الإنسان خير بطبعه، وأن المجتمع هو الذي يُفسده ويشوّه فطرته.

لذلك دعا إلى تربية منسجمة مع الطبيعة، أي تراعي النمو الطبيعي للطفل دون ضغط أو إجبار.

هدف التربية الطبيعية هو تكوين إنسان حرّ، متكامل، متزن عاطفياً وعقلياً وجسدياً، يعيش وفق قوانين الطبيعة والعقل. (روسو ، مقلد ، 2000، ص 161)

أهم المبادئ الأساسية

1. اتباع الطبيعة في التربية

- يجب أن تُترك للطفل حرية النمو وفق ميوله ووتيرته الخاصة، دون تدخل مفرط من الكبار.
- دور المربي هو التوجيه غير المباشر، لا القمع أو الفرض.

2. الحرية والتجربة أساس التعلم

- يتعلم الطفل من خلال التجريب والخطأ والملاحظة وليس من خلال الحفظ.
- المعرفة الحقيقية تُكتسب عن طريق الخبرة المباشرة مع البيئة.

3. مراعاة مراحل النمو

- يقسم روسو التربية إلى مراحل تتناسب مع تطور قدرات الطفل (الطفولة، الصبا، المراهقة...).
- لكل مرحلة أهداف ووسائل خاصة تراعي قدراته العقلية والجسمية.

4. الابتعاد عن التلقين

- رفض روسو التعليم القائم على التلقين اللفظي والمناهج الصارمة.
- شدد على أن الطفل يجب أن "يكتشف بنفسه" بدل أن "يُلَقَّن".

5. العودة إلى الطبيعة كمعلم أول

- الطبيعة هي المصدر الأول للتربية، فهي تُعَلِّم النظام والاتساق والتجربة.

مفهوم التعليم عند روسو

- التعليم هو عملية نمو طبيعية وتلقائية، وليست فرضاً اجتماعياً أو عقاباً أخلاقياً.
- الغاية من التعليم هي تحرير الإنسان من تأثير المجتمع الفاسد، وجعله يعيش في انسجام مع فطرته. (روسو، 2000، ص 49-62؛ النشار، 2012، ص 87؛ عبد العزيز، 2018، ص 35-38)

الوسائل التعليمية في النظرية الطبيعية

- الوسائل التعليمية عند روسو كانت البيئة والطبيعة نفسها:
 - الأشجار، النباتات، الحيوانات، الأدوات البسيطة.
 - التعلم عبر التجربة الحسية (اللمس، المشاهدة، العمل اليدوي).
- رفض الوسائل المجردة كالكتب في المراحل الأولى من التعليم.
- الوسائل المحسوسة تسبق الرمزية (أي أن الطفل يتعلم من الأشياء قبل الكلمات).
- كل وسيلة تُستخدم ينبغي أن تخدم النمو الطبيعي للطفل لا أن تُقيِّده أو تفرض عليه.

ثانياً/المقاربة السلوكية واستعمال الوسائل التعليمية

يعتبر **واطسن Watson** و**سكنر Skinner** من مؤسسي المدرسة السلوكية، وهي مدرسة أمريكية تنادي بالمطابقة بين علم النفس والعلوم الطبيعية، أي الموضوع الملائم لعلم النفس هو ما يمكن ملاحظته وقياسه فقط (السلوك

(والأداء) لذا سميت بالسلوكية، أما التفكير والنوايا والمقاصد والعواطف هي من الأحداث العقلية لا يمكن رؤيتها ولا قياسها بدقة وبالتالي فهي بمعزل عن عملية التعلم، ومن هنا قاموا باختبار تغير السلوك الظاهر عند الانسان والحيوان نتيجة استثرات خارجية وأسموها بالتعلم. كذلك أجروا تجارب على الحيوان وقاموا بتعميم النتائج على الانسان لصعوبة اخضاعه للتجربة العلمية، فلا فرق عندهم إذن بين التعلم الانساني والتعلم الحيواني فالقضية هي مثير واستجابة (التعلم الشرطي الإجرائي) أدّى إلى ارتباط التعلم بالتعزيز الخارجي، وهذا هو المبدأ في ادخال الوسائل التعليمية والآلات وبرمجة التعليم والتأسيس لتكنولوجيا التعليم، حتى غدت هذه النظرية تسيطر على دوائر التعليم في معظم الجامعات الأمريكية لأكثر من خمسين سنة، وهي نظرية معاكسة تماما لنظرية جون ديوي والمذهب -التعزيز الايجابي والتعزيز السلبي، قوانين التعلم وتجزئ التعليم. الاجتماعي التجريبي. (الحيلة، 2016؛ علي، 2005)

مبادئها الأساسية:

- التعلم عملية تغيير في السلوك الظاهر نتيجة للمثير والاستجابة.
- يعتمد على التكرار، التعزيز، والمكافأة والعقاب.
- المتعلم مستقبل سلبي والمعلم هو الموجّه والمتحكم في البيئة التعليمية.
- التركيز على الأداء القابل للملاحظة والقياس.

مفهوم التعليم حسب المقاربة السلوكية:

التعليم هو عملية تفاعلية تقوم على اكتساب سلوك جديد أو تعديل السلوك القديم من خلال التحكم في المثيرات التي يتعرض لها المتعلم واستجاباته.

الوسيلة التعليمية حسب النظرية السلوكية:

- الوسيلة التعليمية هي مثير خارجي يساعد على استثارة الاستجابة المطلوبة.
- الهدف من الوسيلة هو التحكم في البيئة التعليمية لتوجيه التعلم نحو السلوك المرغوب.

- أمثلة: الفيديوهات التدريبية، البرمجيات المبرمجة، بطاقات الأسئلة، العروض الخطية.

ثالثاً/النظرية البنائية واستعمال الوسائل التعليمية

1. النظرية البنائية الفردية (المعرفية):

يعتبر جون بياجى (1894 - 1980) و هو مفكر تربوي سويسري من مؤسسي ما يسمى بالنظرية البنائية الفردية، حيث تنطلق نظرياته التربوية من عالم البيولوجيا إلى عالم الطفولة، حيث يقول بأن أجهزة جسم الإنسان تعمل بشكل معين وكل جهاز له وظيفته الخاصة به، كذلك الدماغ البشري هو كباقي أجهزة الجسم الأخرى له وظيفته التعلم. فالطفل عند بياجى هو عبارة عن عالم صغير يبني فهماً ذاتياً للعالم من حوله، ويتأثر بنوع المعرفة التي يبنها خلال المرحلة العمرية التي يمر بها وكذا بالظروف والعوامل البيئية التي يتفاعل معها، وبالتالي فالطفل عند بياجى يتطور ويتعلم. والمعرفة هي العلاقة بين الذات العارفة -الطفل - وموضوع المعرفة، وبالتالي فهو يختار المعلومات والمعارف التي يتعامل معها من البيئة ويتكيف معها (التمثل) وينظمها (المواءمة) ويحاول تفسيرها (التركيز على دور المتعلم في العملية التعليمية).

فالعملية المعرفية حسب بياجى والنظرية البنائية في التربية هي عملية ارتقائية ذات صلة وعلاقة مباشرة كما قام بياجى بتحديد وضبط مراحل تطور الفكر البشري وفق أربع مراحل تتميز كل مرحلة عن الأخرى بخصائص وقابليات ذهنية جديدة وهي كما يلي:

مرحلة التفكير الحسي الحركي: تبدأ منذ الولادة حتى السنتين، يكتشف المولود والصبي العالم باستخدام الحواس والمهارات الحركية المختلفة

مرحلة ما قبل العمليات المادية: من 02 سنة إلى غاية 07 سنوات، حيث يتعلم اللغة واستخدام الرموز ويركز على الأشياء في صورتها الأصلية والثابتة (المظهر)

مرحلة العمليات المادية: من 07 سنة إلى غاية 11 سنة، يتطور لدى الطفل التفكير المنطقي والواقعي بعيداً عن التمرکز حول الذات

مرحلة التفكير المجرد: من 11 سنة إلى سن الرشد، حيث يبدأ النشاط العقلي للطفل من خلال الإجراء والتجربة. العمليات ووضع الفرضيات، ويفكر في الفوارق الممكنة بين الأشياء ويقوم بعمليات الاستنتاج بعد الملاحظة إن أهم ما توصل إليه بياجى هو العمل على تشجيع التلاميذ على التعلم من خلال وضعهم أمام مواقف تعليمية تتجاوز قدراتهم (وضعية الإشكال) بقليل وهذا ما يحفزهم ويدفعهم الى البحث عن الحلول وحل المشكلة والعودة الى حالة الاتزان. (الحيلة، 2016؛ الكردي، 2018؛ Piaget, 1972)

أهم المبادئ والتطبيقات التربوية

من أهم التطبيقات التربوية لهذه النظرية ما يلي: (بن يوسف، خلاوي، 2022، ص ص 151-152)

- **مراعاة التناسب بين المنهج والمرحلة الدراسية:**
يجب أن تتلاءم المعارف والمحتويات المقدّمة مع القدرات العقلية للمتعلمين، فلا تُقدّم لهم مفاهيم تفوق مستوى إدراكهم.
- **إلمام المعلم بخصائص النمو العقلي والتفكير:**
ينبغي أن يكون المعلم، والأبوان كذلك، على دراية بخصائص التفكير في كل مرحلة عمرية، وأن يراعوا الفروق الفردية والقدرات الذهنية للمتعلمين.
ويؤكد التوجيه النبوي ذلك في قوله ﷺ: "أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم"، وقول علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): "حدثوا الناس بما يعقلون..."
- **تنويع طرائق التدريس حسب المرحلة:**
يُستحسن في المراحل الأولى استخدام المحسوسات والابتعاد عن المجردات، بينما يمكن في المراحل الثانوية مناقشة المفاهيم النظرية والقضايا المجردة.
- **توجيه العملية التعليمية وفق خصائص النمو:**
إن معرفة خصائص النمو المعرفي تمكّن المعلم من تحديد طبيعة تفكير الطفل وتوجيه أهداف التعلم بما يتناسب مع سلوكه ومرحلة نموه.

- تصميم المناهج التعليمية المناسبة:

تساعد مراحل النمو المعرفي في بناء مناهج تتماشى مع طبيعة العمليات العقلية لكل مرحلة دراسية.

- إعداد أدوات التقويم المناسبة:

تمكّن خصائص النمو المعرفي من وضع اختبارات دقيقة تقيس مستوى النمو العقلي والمعرفي لدى المتعلمين.

- تعزيز الاهتمام بنظريات التعلم المعرفية:

شهد الميدان التربوي اهتماماً واسعاً بنظرية بياجيه لما تقدّمه من تطبيقات عملية فعّالة في التعليم والتعلّم.

الوسيلة التعليمية في النظرية البنائية الفردية:

- الوسيلة التعليمية تساعد المتعلم على معالجة المعلومات وتنظيمها بصرياً ولفظياً.
- تُستخدم لتوضيح العلاقات والمفاهيم المجردة (مثلاً: الخرائط الذهنية، الرسوم التوضيحية، الجداول).
- الوسيلة ليست غاية بل أداة للفهم والتفكير.

2. النظرية البنائية الاجتماعية (الثقافية الاجتماعية):

يعتبر عالم النفس الروسي ليف فايغوتسكي (1896-1934) Vygotsky.S.L من بين المؤسسين والمهتمين بهذه النظرية التربوية التي تؤكد بأن المعرفة هي عبارة عملية تشاركية تبنى وتتطور بين عدة عقول أكثر مما هي خبرة فردية، حيث اهتم فايغوتسكي بمشكلة الوظائف العقلية العليا والوظائف العقلية الدنيا، وعلاقة ذلك بعملتي التعلم والنمو. انطلاقاً من أن الإنسان يتميز بمنعكسات فطرية بسيطة يسميها فايغوتسكي بالوظائف الأولية أو البدائية، والتي تتطور تدريجياً لتصبح وظائف عقلية عليا، لكنها لا تأخذ الصفة وتصل إلى هذا المستوى بسبب النمو البيولوجي والتطور الفيسيولوجي حسب بياجيه. بل هي نتاج للعملية التطورية المعقدة والتطور التاريخي للإنسانية والنمو الثقافي للعمليات النفسية هذا الأخير يمثل نمو الوظائف العقلية العليا التي لا تتطلب تغيراً في الطبيعة البيولوجية للإنسان. فقد بينت الأبحاث أن الأطفال في مرحلة ما قد ينجزون أعمالاً ويكتسبون مفاهيم مجردة في مرحلة مبكرة من العمر، تفوق بكثير ما كان يُعتقد من قبل.

أهم الأفكار والمبادئ:

- تحسين مستوى التعليم من خلال التحسين الكيفي للنشاط العقلي العام للطفل.
- اعتماد طرق تدريس قائمة على خلق أشكال من التفكير جديدة .
- تغيير المضامين والطرق لاستثارة الإمكانات العقلية للتلاميذ.(علي، 2005؛ العساف، 2012)

الوسيلة التعليمية حسب النظرية البنائية الاجتماعية

- الوسيلة التعليمية تُعد بيئة للتفاعل والاكتشاف وليست مجرد أداة عرض.
- تشجع الوسائل المتنوعة (المحاكاة، الأنشطة الميدانية، التجارب الافتراضية، المشاريع الجماعية).
- المتعلم يستخدم الوسيلة للبحث والتجريب وليس لتلقي المعلومة فقط.

رابعا/ النظرية الاتصالية الحديثة في استعمال الوسائل التعليمية

عرف جورج سمينز النظرية الاتصالية على أنها نظرية تهدف إلى توضيح كيفية حدوث التعلم في البيئات التكوينية المركبة وكيف تتأثر من خلال الديناميكيات الاجتماعية الجديدة. وكيفية تدعيمه بواسطة التكنولوجيات الجديدة. إضافة إلى أنها اتصال مباشر بالإنترنت. وتشتغل بالأساس على تفسير كيفية توزيع المعرفة خلال شبكة تتضمن المتعلمين والتقنيات والأدوات غير البشرية ولا تقتصر فقط على المعرفة الموزعة داخل دماغ المتعلم بل على القدرة على تكوين الشبكات أو الترابطات الإلكترونية التفاعلية التي ستولد المعرفة. (بوعجيلة، زويدي، 2023، ص 319).

أهم مبادئ النظرية الاتصالية الحديثة

- الثقة وتحديد المعرفة هما الهدف الأساسي في جميع أنشطة التعلم الاتصالي .
- التعلم هو عملية إنشاء المعرفة، وليس فقط استهلاك المعرفة .
- يحدث التعلم بطرق مختلفة نتيجة للتقنيات الحديثة مثلا: بالمقررات، والبريد الإلكتروني، والمجتمعات العلمية، والأحاديث الشخصية، والبحث على شبكة الإنترنت، وقراءة المدونات .
- أصبحت المعرفة على مستويات عليا تتغير ضمن المدى البشري.
- القدرة على معرفة العلاقات بين المجالات، والأفكار، والمفاهيم، هي مهارة أساسية.
- التعلم عملية مستمرة مدى الحياة لا تتوقف ولا ترتبط بوقت أو بسن معين(عاطف، 2017، ص75).

الوسيلة التعليمية في النظرية الاتصالية الحديثة

- تؤكد النظرية الاتصالية على الدور المحوري للتقنيات الحديثة في تطوير العملية التعليمية، إذ أصبحت الوسائل التكنولوجية والإلكترونية (مثل المنتديات الإلكترونية، والمدونات، والنشرات البريدية، والمجموعات التفاعلية) مكونًا أساسيًا في بيئة التعلم التشاركية.
- ساهمت هذه الأدوات في تعزيز التفاعل والتبادل المعرفي بين المتعلمين، مما غير دور المعلم من ناقل للمعرفة إلى موجه ومحفّز لبنائها لدى الطلبة.
- كما ارتكزت النظرية على دمج التكنولوجيا في جميع عناصر المنهج (الأهداف، المحتوى، طرائق التدريس، والتقويم) بهدف تحقيق بيئة تعليمية أكثر فاعلية وتكاملاً، تعرف اليوم بـ التعلم المعزز بالتكنولوجيا (عبد العاطي، 2016، ص37).